شبهات وانحرافات في التفكير الإسلامي المعاصر/ (تبني حملة لهدم الأسرة المسلمة انموذجا)

Suspicions and Deviations in the Contemporary Islamic Thought Adopting campaign to demolish Muslim family as a model

م.د. ندى سهيل عبد الحسيني

Assist. Dr. Nada Suhail Abid Al-Husaini

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

University of Kufa /College of Basic Education

الكلمات المفتاحية: شبهات – انحرافات – التفكير الإسلامي – حملة – هدم الأسرة المسلمة.

Key words: Suspicions – deviations – Islamic thought – campaign – Muslim family demolition.

الملخص:

لا ريب ولا جدال في أن الإسلام اليوم يواجه التحديات من جبهتين، جبهة داخلية مكونة من أدعياء لا ينتمون إلى الإسلام الا بحكم شهادات مواليدهم، وهم في عصرنا كثر، وجبهة خارجية تهب رياح تحدياتها على الإسلام من كل حدب وصوب، تخطط لها وتتولى قياداتها دول الاستكبار العالمي من ماركسيين وصليبيين وصهاينة، ولا نبالغ اذا قلنا ان الجبهة الخارجية التي تجهر بعداوتها للإسلام عقيدة وفكرا ونظاما، أهون على الإسلام من الجبهة الداخلية، لا سيما من أضلهم الله على علم من اشياع هذه الجبهة، ففي اتجاهاتهم يكمن الخطر، كون الكثير من شبابنا المسلم انتماء اليوم، قد ينجرف إلى أفكارهم، وليس لديه رصيد من الثقافة الإسلامية الأصيلة يزن به أفكاره، ليميز الخبيث من الطيب..

ولا جدال في أننا نجد اليوم ان مهمتنا– في وضع كهذا– شاقة وصعبة في مواجهة الانحرافات والشبهات التي تواجه الفكر الإسلامي من داخل دياره؛ وذلك لأن الفكر المنحرف يجد مجاله في النشر، ويجد مجاله في التمويل الخفي والعلني، بينما يعاني الكاتب الإسلامي ما يعانيه في هذين المجالين، أما ما هو أكثر مشقة على الفكر الإسلامي نفسه، فيتركز في مواجهته للانحرافات والشبهات التي تهب عليه من خارجه، سواء كان من الشرق المادي الإلحادي، أم من الغرب الصهيوني الصليبي، اذ كيف يواجه الفكر الإسلامي هذه الانحرافات والشبهات التي تطبع بعدة لغات أجنبية، وتنشر على نطاق واسع، بينما هو لا يملك إلا النشر وبلغة واحدة في الغالب هي اللغة العربية التي قد لا تكون إحدى لغات الانحرافات والشبهات، وأيضا لا جدال: في أن المؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي والكليات الإسلامية التي نعتقد ان تكليفها الشرعي يحتم عليها العبء الأكبر في الدفاع عن الفكر الإسلامي في مواجهة هذه الشبهات والانحرافات والتي تمثل أعنف التحديات للإسلام عقيدة ونظاما وفكرا وتراثا، لذا يقتضي الأمر منكم أيها الإخوة القائمون على هذه المؤسسات والكليات توحيد الهمة والتخطيط الجاد للعمل معا من اجل رد هذه الانحرافات على أعقابها ناكصة، وأنا أدعوكم من هذه المنصة أن نعمل معا في القضاء عليها ومكافحتها ومكافحة مسالكها ومساربها، قبل ان يستفحل أمرها ويدلهم خطرها. ومن هذه الانحرافات حملة تتبنى هدم الأسرة المسلمة، وهذه الحملة المراد منها هدم القيم الدينية والأخلاقية التي يدين بها مجتمعنا المسلم، لا بل مجتمعاتنا الإسلامية عامة، وإذا تضافرت الجهود فسنقول لهم معا: لن تستطيعوا ذلك، مهما فعلتم، فإن المجتمع المسلم الأصيل يلفظ كل فكر دخيل وكل داعم الى مثل هذه البدع؛ لأنها بعيده عن هدي الإسلام وسمو دعوته..

وقد جاء هذا البحث ليقف على بعض تلك الدعوات ومن تبناها ومن أسس لها وبالتالي ليحاول الوقوف على الحلول التي من الممكن أن تساهم في تقوية العلاقات الأسرية وبالتالي تقوية المجتمع المسلم، فانتظم البحث في مبحثين تكفل الأول ببيان كيفية مواجهة الإسلام التحديات، واشتمل المبحث الثاني على الوقوف على نماذج من مشاريع تبناها الغرب لهدم الأسرة المسلمة.

Abstract:

There is no doubt or controversy that Islam today is facing challenges from two fronts: an internal front: which is made up of pretenders who do not belong to Islam except by virtue of their birth certificates; they are too many in this time; and an external front: whose winds of challenges are blowing against Islam from all sides; it is planned and led by the international arrogant countries as Marxists, Crusaders and Zionists.

We do not exaggerate if we say that the external front that is openly hostile to Islam in doctrine, thought and system is easier for Islam than the internal front, especially those whom Allah has led astray as per His knowledge of the followers of this front–within their trends the danger lies owing to many of young Muslims of today affiliation may be attracted into their ideas as they do not have sufficient genuine Islamic culture to support their thoughts, to distinguish the bad from the good.

There is no argument that we, today, find that our task in a situation like this is and difficult in facing the deviations and suspicions that face Islamic thought from within its homeland. This is because the deviant ideology finds its space in publishing, and finds its space in hidden and open financing, while the Islamic writer suffers what they suffer in these two fields. As to the most difficult to Islamic thought it is centered on its facing deviations and suspicions coming from outside whether it is from the materialistic atheistic East, or from the Crusader or Zionist West.

How then does Islamic thought face these deviations and suspicions printed in several foreign languages and are widely disseminated, while it (Islam) has publication in only one language, mostly Arabic which may not be one of the languages of deviations and suspicions. Also, there is no controversy that the Islamic institutions in the Islamic world and the Islamic colleges whose legal mandate we believe necessitates the heaviest burden in defending the Islamic thought in the face of these suspicions and deviations, which represent the most severe challenges to Islam in belief, system, thought and heritage. Thus, the matter requires you brothers, running these institutions and colleges, to unite your determination and the serious planning to work together in order to confute these deviations back on their heels; and I invite you from this platform to work together in eliminating them and combating them and combating their sources and paths before the situation grows worse and the danger afflicts our nation. Among these deviations is a campaign that adopts the demolition of Muslim family. Not only this campaign is intended to destroy the religious and moral values that our Muslim society practices, but also our Islamic societies in general.

When efforts are united, we all will say to them: “You cannot do that; do whatever you do; for the genuine Muslim society repels any intrusive ideology and any supporter to such heresies, because they are distant from the guidance of Islam and the loftiness of its mission.”

This research focuses on some of those missions; who adopted them and who founded them, and thus to try to find solutions that could contribute to strengthening family relations and consequently strengthening the Muslim society.

The research is consisted of two sections. The first one focuses on how can Islam face challenges? The second one focuses on samples of projects adopted by the West to demolish Muslim family.

المبحث الأول: الإسلام وتحديات الغرب

قال تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُو اْبِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَد بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (118) هَا أَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(119) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُو اْوَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ(120)﴾ [آل عمران:118–120]، تتعرض هذه الآيات القرآنية لمسائل جمة، من ضمنها مسألة العلاقات بين المسلمين والكفار من جهة، و بين المسلمين واليهود والنصارى من جهة أخرى، وتحذر المؤمنين – وبشكل لطيف جدا – بأن (لا يتخذوا من الذين يفارقونهم في الدين والمسلك أصدقاء يسرون إليهم ويخبرونهم بأسرارهم، وأن لا يطلع الأجانب على ما تحتفظ به صدورهم وما خفي من نواياهم وأفكارهم الخاصة بهم، وهذا يعني أن هؤلاء لا يصلحون لمواصلة المسلمين ومصادقتهم، كما لا يصلحون بأن يكونوا أصحاب سرٍ لهم وذلك لأنهم لا يتورعون عن الكيد والإيقاع بهم ما استطاعوا)[1]، وبالرغم من هذ التحذير القرآني الا اننا نجد كثيرا من أتباع القرآن قد غفلوا عن هذا التحذير الالهي المهم؛ وقد تعرضوا لتبعات عدم إتباعهم القرآن بهذا وإلى يوم القيامة بل حصدوا آثارا سلبية لذلك، منها ما سوف نتحدث عنه في متون البحث ألا وهو موضوع تبني حملة لتهديم الأسرة المسلمة.

فهؤلاء – اليهود والنصارى – يحيطون بالمسلمين من كل جانب، ظاهريا يدعون محبة المسلمين وصداقتهم، وباطنيا يظاهرون على المسلمين، وهذا قد اخبرنا به القرآن الكريم، فقال عز من قال:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: 82] ليس هذا فقط بل قال في موضع آخر من نفس السورة:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:51]، ومع هذا كله انخدع المسلمون بما تظاهر به الأعداء وضربوا بتعاليم الإسلام عرض الجدار، كما حصل في عصرنا الحاضر من تطبيع مع اليهود من قبل أكثر الدول العربية والإسلامية متناسين تعاليم الإسلام، بل صار المسلمون يقتل بعضهم بعضا متخذا من المسلمين أعداء، كما يحصل اليوم مع آل سعود الوهابية الذين يقاتلون إخوانهم الحوثيين المؤمنين متخذين منهم اعداءا. فكان من مواقفهم المشبوهة حملات التشكيك والتضليل في الرسالة الخاتمة وكذلك التشكيك في صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه.. وقد

كانت هذه الحملات ولا زالت تنتقل بين الحاقدين على الإسلام من جيل الى جيل حتى عصرنا الحاضر، فلا يزال الكثير من المبشرين يعملون على هدم الإسلام والتشكيك فيه بشتى الطرق.

بالمقابل نجد ان بعض المسلمين ممن يروجون لدعاوي المبشرين وللإسرائيليات التي حوتها بعض كتب التفسير، وهؤلاء أشد خطرا على الإسلام من أعدائه، اذ يتصيد الأعداء أقوالهم وينسبونها الى الإسلام والإسلام بريء مما يقولون.

ومع ازدياد هذه الحملات المسعورة ضد الإسلام نتج عنه ابتعاد المسلمين عن دينهم وتقليد غيرهم وتركوا ما أمرهم الله به ليأخذوا بما وضعه الآخرون، وهؤلاء مهما ارتفعت مداركهم وعظمت أفكارهم فلن تصل بحال من الأحوال الي ما وضعه الله سبحانه وتعالى.. انه اعلم بنفوس عباده، وقد وضع لها ما يلائمها من النظم التي تكفل للإنسان خيري الدنيا والآخرة ولكننا تركنا ما أمر الله به وراء ظهورنا ونظرنا الى ما في يد غيرنا وهو غش لا رجاء منه ولا امل فيه. وقد ازداد النشاط المعادي للإسلام في هذه الأيام زيادة كبيرة حتى وصل الأمر إلى ان يتقاتل المسلمون فيما بينهم والغرب يتفرج عليهم؛ لان حروبه لم تعد كما كان في الماضي يأتي بجيشه الى العالم الإسلامي ويقدم الضحايا تلو الضحايا لأجل مصالحه بل قام بحرب أخرى، وهي إثارة النعرات الطائفية والعرقية في بلاد المسلمين، فجعلهم يتقاتلون في ما بينهم محققا مصالحه في أرجاء العالم الإسلامي مسيطرا على ثرواتهم دون عناء وتعب، خذ من ذلك ما يحصل اليوم في اليمن من تقاتل بين الإخوان على مرأى ومسمع من المجتمع الدولي، يذبح أبناء اليمن من الحوثيين والكل صامت لا يحرك ساكنا، فآل سعود قد فقدوا الإنسانية منذ ان تولوا أمور المسلمين عنوة، فأخذوا يقتلوا ويصلبوا المسلمين بحجة الدفاع عن الإسلام وأهله وما مشروع التطبيع مع إسرائيل الا جزء من هذا المشروع القذر الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وما حصل في العراق وسوريا وتونس وليبيا إلا أجزاء صغيرة من مشاريع الاحتلال غير المباشر للعالم الإسلامي، وما العداء الذي يكنه الغرب لإيران الإسلامية الا لأنها المدافع الوحيد عن حقوق المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي ولأنها الوحيدة التي رفعت لواء الحرب ضد إسرائيل الدولة العدو اللدود للمسلمين.

لم تتوقف الحرب عند هذا الحد فقط ظهرت بادرة جديدة في حرب الإسلام وهي منع المنتمين إليه من مزاولة أعمالهم وفصلهم اذا ظلوا متمسكين بدينهم، وقد قادت الدول الأوروبية حملات ضد الحجاب الإسلامي في عدد من دول العالم منها فرنسا، التي أصدرت قانونا يمنع ارتداء الحجاب فيها، خصوصا بعد ظهور امرأة محجبة خلال اجتماع لأحد المجالس المحلية، وهو ما أثار جدلا واسعا وكشف الاختلاف لدى الفرنسيين في تأويل القانون، فقد نص القانون الفرنسي على (منع موظفات الخدمة العامة من ارتداء الحجاب أيا كان موقعهن،على غرار العاملات في الأماكن التي يرتادها المراجعون، وكذلك العاملات في مصالح وأقسام الخدمة المدنية اللاتي لا يستقبلن مراجعين بحكم وظائفهن، فهؤلاء يجبرهن القانون على التزام الحياد والامتناع عن التعبير عن قناعتهن الدينية خلال العمل[2].

هذا في دول أوروبا، اما في دولة كانت في يوم من الأيام مركزا للدولة الإسلامية – اي الدولة العثمانية – فحدوث مثل ذلك يكون عجبا بكل العجب، ففي الأعوام 1923 –1950م لم تتعرض المحجبات في تركيا إلى هجوم إعلامي شعبي مباشر، الا ان التوجه العلماني منعهن من العمل في مؤسسات الدولة وضيق عليهن دخول المدارس والجامعات، وبقيت قضية الحجاب تتأرجح من ذلك العام الى العام 1964– 1967م، وإلى حلول العام 1984، اذ صدر قانون رسمي يمنع ارتداء الحجاب في المؤسسات الحكومية والجامعات والمدارس من خلال مرسوم نشرته وزارة التعليم العاليYOK ، وبعد انقلاب 28 شباط 1997 بدأت المرحلة الأصعب في حياة المحجبات، حيث أغلقت العديد من مدارس الأئمة والخطباء الدينية، وطردت المحجبات من الجامعات والعمل، وتم الاعتداء على العديد منهن في الشوارع والكليات، وقد تم وقتذاك إنشاء ما يعرف (بغرف الإقناع) والتي هي عبارة عن غرف كانت المحجبات يدخلن إليها ويتعرضن لأبشع أنواع التعذيب النفسي والعصبي ليتم إقناعهن بنزع الحجاب مقابل السماح لهم بدخول الجامعات، وتم تبرير هذا التعذيب بأنه محاولة لمنح الحرية الحقيقية للفتيات اللواتي يرتدين الحجاب تحت ضغط الأهل والمجتمع[3]، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على:

1– تعدد طرق محاربة الإسلام وعلى جميع الأصعدة.

2– ظهر من ذلك مدى العداء والحقد الذي تكنه هذه الدول للإسلام والمسلمين.

3– يدل على أن الاستعمار قد غير طرقه وأساليبه في الاحتلال، فمجرد زرع عملاء في اي دوله إسلامية كفيل بتحطيم مبادئ الإسلام ونظمه.

4– ان هؤلاء ابتدعوا أساليب جديدة لمحاربة الإسلام والمسلمين ومحاولة القضاء عليه، لكن الله سبحانه وتعالى حافظ لهذا الدين إلى يوم القيامة، كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز فقال:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

الذي لفت نظر الباحث ان الاستعمار ابتدع طريقة أخرى من طرق العداء للإسلام فضربه في الصميم من خلال بعض من حسب عليه، بل من يعد من ابنائه، فهذا الكاتب المعروف توفيق الحكيم الذي توفى في عام 1987م، نشرت له مجلة صباح الخير المصرية بتاريخ 9/12/ 1974م في معرض حديثه مع مجموعة من الفتيات اللاتي حضرن ندوة قد أقامها في الإسكندرية، و سألنه عن أمور كثيرة تخص المرأة، فرد عليهن:«ان المرأة مخلوق تافه، خلق من ضلع تافه للرجل ورغم ذلك فقد سيطرت على الرجال»، ثم أجاب عن سؤال وجه اليه عن الزواج قائلا: «الزواج في رأيي قيد على حرية الرجل... ويجب البحث عن وسيلة أخرى للارتباط بين الرجل والمرأة غير الزواج»[4]، وهكذا يرفض كاتب كبير من كتاب الوطن العربي المسلم توفيق الحكيم نظام الزواج ويريد ان يبحث عن بديل عنه، بل هو يريد أن يشيع العلاقة الآثمة بين الرجل والمرأة، فلو نظرنا لكلامه هذا وجدناه ذا أبعاد:

1- ان توفيق الحكيم كاتب معروف لدى الأوساط العلمية والأدبية، وتصريح منه كهذا سيطلع عليه الملايين من مريديه ومحبيه، والدليل على ذلك أنه ورغم ان تصريحه هذا كان قبل حوالي 78 عاما الا انه لازال يتناقل بين الناس على اعتبار شهرة هذا الكاتب، وتصريح منه سوف يزلزل أقدام الرجال والنساء من المعجبين به باعتبار أنه قدوتهم وقد يعتقدون انه انما قال بهذا بعد خبرة ودراية وأن الأمر لا بد من البت به.

2- ومن إبعاده الأخرى ان الغرب استطاع أن يشتري ذمم هؤلاء الكتاب المعروفين بآلاف الدولارات بدل من ان يحتاج الى زرع عملاء جدد يصرف عليهم ملايين الدولارات غير معروفين فلا يتبعهم أحد من الناس كونهم غير مشهورين ويعتبرهم الجمهور من المرتزقة المأجورين.

والأشر من هذا القول قول الكاتب المصري المعروف نجيب محفوظ الذي سئل عن العلاقة بين الرجل والمرأة فقال:«وأنا لا مانع عندي في ان يكون للفتاة صديق من الجنس الآخر» فسألته فتاة قائلة:«حتى لو خالف رغبة الأهل؟؟» فأجاب بسرعة: «حتى لو خالف رغبة الأهل»[5]. بعد ان اجتمع رأيا كاتبين عربيين معروفين على هذه الادلجة، ماذا تظن أن يحدث؟ اكيد سيعمد آلاف الشباب العربي المسلم إلى اقتفاء أثريهما وإتباعهما. ونحن اذ نرد على هؤلاء الذين باعوا دينهم بالرخيص بحفنة من دولارات غربية كانت لهما ولعوائلهما أموالا سحتا:

1- توفيق الحكيم بقوله:«إن الزواج قيد على حرية الرجل» فهو يرى أن الإنسان أصبح اقل شأنا وتحضرا من الحيوان، على اعتبار ان الزواج نظام تقبله الفطرة السليمة وتقره جميع الديانات السماوية، ولا يقبل الإنسان رابطة بين الرجل والمرأة إلا أن تكون بالزواج.

2- اما قوله: «ان المرأة مخلوق تافه» فهل أتى لنا بالدليل على ما ذهب اليه، مع العلم أن القرآن قد أثبت عكس ذلك، فقد أثبت أن المرأة مكرمة كما الرجل مكرم،قال تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70] و بنو آدم يشمل الرجال والنساء، بل قال تعالى في موضع آخر:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21]، وأن من كرمه الخالق هكذا حاله حال الرجل، فكيف يحط من قدره او ان ينظر اليه نظرة تافهة، فالمرأة ام الرجل واخت الرجل وزوجته وابنته، فهما في الإنسانية سواء، والدليل على ذلك أنه تعالى عندما قال:{يا أيها الناس} و {يا أيها الذين آمنوا} و{يا بني آدم} كان خطابه عاما للبشر كافة رجالا ونساء بل وصل التكريم الإلهي للمرأة ان يقول إمام مفترض الطاعة كالإمام الحسن العسكري عليه السلام عن أمه فاطمة: «نحن حجج الله على الخلائق, وأمنا فاطمة حجة الله علينا»[6]، فكيف تكون فاطمة حجة على أئمة الهدى وهي غير مكرمة بل مهانة كما وصفها توفيق الحكيم، هذا بالنسبة لما قاله توفيق الحكيم، اما ما قاله نجيب محفوظ – آنذاك – الذي أباح للفتاة ان تتخذ صديقا من الجنس الآخر ولو ضد رغبة الأهل، فهذه دعوة منه الى الفسق والفجور، دعوى الى خلق أسرة جديدة غير الأسرة التي أوصى بها القرآن بل الرسالات السماوية جمعاء، أراد ان تختلط الأنساب ونعود الى الجاهلية المقيتة، وعليه فان دعوته هذه كانت تركز على نقاط عدة:

1- الدعوة الى الفسق والفجور ومحاولة الإيقاع بين الرجل والمرأة.

2- استنكار الزواج والدعوة إلى الإباحية الجنسية.

3- محاولة هدم القيم الدينية والقضاء على قيم المجتمع.

واخيرا نقول لكليهما ولمن أتى بعدهما أمثال محمد اركون، محمد شحرور، ونصر حامد أبو زيد، نقول لهم قول الله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾ [الأحزاب: 70-71].

يقول محمد اركون عن القرآن الكريم:«لكن هذا لا يعني بالطبع أن نص القرآن ليس بحاجة إلى تطبيق منهجية النقد التاريخي عليه كما طبقت على التوراة والإنجيل في الغرب، فالواقع إن ذلك يمثل الخطوة الأولى التي لا بد منها من اجل تحرير الفكر في العالمين العربي والإسلامي»[7]،وهذا أيضا أجير آخر من أجراء الغرب الذين باعوا دينهم بدراهم معدودة، وله آراء أخرى ولصاحبه محمد شحرور في حجاب المرأة، بل لهم وجهة نظر بالحجاب الإسلامي المفروض على المرأة تختلف تماما مع ما قال به الإسلام، إضافة الى نوال السعداوي التي انتقصت كل ما هو كامل في الإسلام حتى ذهبت الى أبعد من ذلك بأنها تدخلت فيما لا يعنيها وسفهت به ما آمن به المسلمون مثل الحج الذي عدته بدعة وعمل لا يتلاءم مع تطور العصر ومقتضياته.

وبهذا يكون هؤلاء وأمثالهم لا يبغون من وراء أفكارهم هذه الا هدم القيم الدينية والأخلاقية التي يدين بها هذا المجتمع، وهذا محال بالنسبة للشباب المسلم الذي فطن إلى ألاعيبهم وفطن الى نواياهم العدوانية التي تريد إضلال الشباب المسلم وخداعه، لكنهم يخدعون أنفسهم وهم لا يشعرون، كونهم لن يستطيعوا الى ذلك سبيلا مهما فعلوا، ولأن المجتمع المسلم الأصيل يرفض كل فكر دخيل وكل داع الى أمثال هذه البدع والأضاليل لأنها بعيده عن هدى الإسلام وسمو دعوته.

المبحث الثاني: وسائل هدم الأسرة المسلمة وطرق محاربتها:

تعد الأسرة اللبنة الأولى في بناء المجتمع الإنساني، عندما تصلح يصلح المجتمع برمته، لذا أولت الشريعة الإسلامية هذه اللبنة اهتماما بالغا للحفاظ عليها من كل سوء يمسها، وقد كان القرآن الكريم سباقا في الدعوة للحفاظ عليها ووقايتها من ما يقيض بنيانها وذلك بعد ان دعا إلى وقاية النفس أولا، فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

وهذه الدعوة وان كانت قرآنية التأسيس إلا أن شعوب العالم اجتمعت كلمتهم على أن الأسرة هي الأساس الذي يجب تحصينه من الصواعق، بل بناء الفرد الذي هو جزء من بناء الأسرة – على اعتبار إنها تتكون من أفراد عدة

–، فبناء البشر أهم من بناء حصون البلاد، فقد قيل: إن الصينيين القدماء لما فكروا في تحسين بلادهم ببناء سور عظيم سمي فيما بعد (بسور الصين العظيم) معتقدين أنه لا أحد يستطيع أن يتسلقه، ولكن بعد بنائه تعرضت الصين الى ثلاث غزوات، وفي كل مرة كان العدو عندما يهاجمهم لا يحتاج الى تسلق السور، بل إن العدو كان يقوم بإعطاء الحارس رشوة فيدخل من الباب، وبهذا نقول: إن الصينيين نسوا ان يبنوا الإنسان وبنوا الجدار، انشغلوا ببنائه عن بناء البشر؛ لأنه اهم من بناء الحجر، ونحن للأسف سمعنا بقصة هذا البناء لكننا لم نستفد من عبرة هذه القصة رغم ان الصين لا تبعد عنا كثيرا، فأصبحنا لا نستطيع بناء الأسر، فكم من أسرة مسلمة اليوم تسكن في قصور مشيدة لكنها في داخلها مهدمة، بينما هناك اسر مسلمة لا تجد بيوتا تسكن فيها لكنها مطمئنة، اذاً المسألة ليست مسألة ماديات ولا مستوى تعليمي معين ولا اجتماعي راقٍ إنما هي مسألة بناء الإنسان، هناك مقولة تقول:(اذا أردت ان تهدم حضارة ما فهناك ثلاث وسائل لذلك، هدم الأسرة، هدم التعليم، إسقاط القدوة)، لكي تهدم أسرة عليك بتغييب دور الأم، اجعلها تخجل من كونها ربة بيت، ولكي تهدم التعليم عليك بالمعلم لا تجعل له أهمية في المجتمع، قلل من مكانته حتى يحتقره طلابه، ولكي تسقط القدوات عليك بالعلماء والمفكرين، اطعن بهم وقلل من شأنهم وشكك بهم حتى لا يسمع ولا يقتدي بهم أحد، فاذا قمنا بهذا ماذا سيحل بالمجتمع؟، إذا اختفت الأم الواعية، واختفى المعلم المخلص، وسقطت القدوة فمن يربي النشئ على القيم؟، وهذا بالفعل ما حصل في مجتمعاتنا الإسلامية عموما والمجتمع العراقي خصوصا، حصل كل هذا بعد العام 2003 م أي بعد السقوط مباشرة، بعد أن انفتح العراق على العالم و دخول الانترنت للعراق، أصبح المعلم الذي كنا إذا شاهدناه يمشي في الشارع نرهب مشيته ونخافه، أصبح في خبر كان وصار أضحوكة لطلبته، اما لأنه سمح لنفسه بأخذ الرشاوى من طلابه او لان طلابه فقدوا التربية، لان دور الام قد توقف، فهذه الام صارت موظفة تعمل وتركت بيتها اما بيد الخادمات او تركت الأولاد يفعلون ما يشاءون وهي تقلب هاتفها تبحث فيه عن ما يسعد قلبها؛ لان زوجها أيضا انشغل عنها بعلاقاته المقيتة ونسي ان له زوجة لها حق عليه، كما له حقا عليها، نسي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:«قولك لزوجتك اني احبك لا يذهب من نفسها أبدا»[8]، وتركها تستجدي كلمة احبك من غيره فكثرت الخيانات واختلطت الأنساب وضاع العلماء بين الجهال، واشتدت شكوى ثلاث من الأصناف التي اخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما قال:«ثلاث يشكون الى الله عز وجل، مسجد خراب لا يصلي فيه أهله،وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرا فيه»[9]، فخُرّبت المساجد رغم كثرتها لكنها خالية من المصلين، ووضعت المصاحف في المساجد والبيوت تشكو الى الله لما أصابها من غبار، وضُيع العلماء فهجرتهم الناس، جرى كل هذا تحت عنوان (حملة تهديم الأسرة المسلمة)، والخاسر الوحيد في هذا وذاك هي الأسرة التي منها يتكون المجتمع المسلم.

أما أهم وسائل هدم الأسرة المسلمة فهي:–

1- هتك حجاب المرأة

إن كلمة (حجاب على وجه الدقة لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وقد سميت بآية الحجاب، فقال تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: 53].

والحجاب: معناه الساتر: يقال: حجب الشيء يحجبه حجبا وحجابا: ستره، إذا إكتنّ وراء الحجاب، حجب بينهما: حال، والحجاب ما حال بين شيئين)[10].

والحجاب اصطلاحا يعني: (ان تستر المرأة بدنها حينما تتعامل مع الرجال، وان لا تخرج أمامهم مثيرة)[11].

ولم يفرض الحجاب في عهد الإسلام فقط بل انه من الثابت تاريخيا أن الحجاب قبل الإسلام كانت له مصداقية، فعرفه اليهود وعرفه الروم وعرفته إيران والهند وغيرهم من الشعوب قبل الإسلام، إذا الحجاب ليس من ابتكارات الإسلام .

ولكن لمَ ظهر الحجاب وما هي فلسفته؟

باختصار أراد الإسلام من الحجاب (حفظ الإنسان والمجتمع عن الرذيلة والفساد، والحفاظ على كرامة المرأة وعفتها وشرفها) [12]، وعليه فإن (جوهرة نفيسة وجميلة كالمرأة اذا ما حفظت بين أكناف الحجاب فإنها ستكون بمأمن عن تطاول المتلصصين والناهبين والراكسين في وحل المعصية والرذيلة)[13]، وهذا الحجاب لا يحول أبدا بين المرأة وبين طلب العلم وبلوغ الرشد والكمال، بل يصونها من كثير من الأخطار والمصائد التي نصبها ذوو الطبائع الحيوانية في طريق الجميلات والفتيات، ويحافظ على طهارتها وعفتها وحيائها ويجعل ذلك منحصرا بزوجها، واذا ما تحجبت المرأة وتحصنت عن الأنظار ولم تقع أعين الناس على وجوهها الطاهر البريء، حينها ستخمد جذوة الأهواء والرغبات، وتنطفئ نيران الغرائز والشهوات ولا تقضي بلهيبها على طهارة أمة بكاملها ولا تدمر صرح المبادئ المعنوية لبلد بأكمله.

ولكن دول الاستكبار العالمي كعادتها في تظليل أبناء الإسلام، اوحت للمرأة بأن هتك الحجاب هو الوسيلة الوحيدة التي بها تحرر المرأة نفسها من براثن الإسلام، فجند أشباه الرجال لهذه المهمة، فكان قاسم أمين واحد من هؤلاء المنحرفين وشمر عن ساعديه و جند جنوده من شياطين الإنس، فأوحى للمرأة في كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) انك بالحجاب ستحرمين من حقوقك كالتعليم والعمل وهذه أكذوبة وفرية اخترعها أصحاب الأهواء، فالمرأة ممكن أن تكون طبيبة ومهندسة وأستاذة جامعية بحجابها الذي قالت عنه مفكرة غربية:«نحتاج الى الحجاب لحل الكثير من المشاكل التي نعاني منها والتي أدت إلى الوقوع في المفاسد الأخلاقية التي أصبحت تؤثر على نظام الدولة وتهدد امنها واستقرارها وتهدر أموالها وتهدد هذه المشاكل والتي سببها عدم الحجاب الى زوال الحضارة الغربية»[14]، ففي الوقت الذي ينادي علماء ومفكروا الغرب بضرورة لبس الحجاب لنسائهم يدعون نساءنا لنزع الحجاب بغية القضاء على الإسلام وأهله.

في بداية ظهور الإسلام في الجزيرة العربية حدثنا الناس عن بطولات وتضحيات ومواقف من النساء المسلمات المحجبات اللاتي كان لهن الفضل في تقدمه، فهل عاق حجاب السيدة خديجة (عليها السلام) زوجة الرسول عن الجهاد وعن بذل ما تملك لنصرة الدين، حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):«ما قام الإسلام إلا بمال خديجة وسيف علي بن ابي طالب»[15]، وهذه فاطمة الزهراء(عليها السلام) التي سئلت يوما ما أحسن شيء للمرأة فقالت: «ان لا ترى رجلا أجنبيا وأن لا يراها رجل»، عندما تطلب منها الوضع الراهن آنذاك للخروج والدفاع عن الإمامة خرجت وألقت كلمات نورانية لا زالت تتناقلها الأجيال الى يومنا هذا.

وهذه السيدة زينب (عليها السلام) التي وكلت إليها مهمة شرح ثورة الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده واستطاعت أن تقلب الأمور بكلماتها وصبرها وعفتها.

فيا أيتها المرأة المسلمة لا يغرنك الغرب الكافر فيسخرك ليخرجك عارية في الوقت الذي ينادي رجالاته في الجلسة العامة الثانية لرابطة منع الفواحش فيقول:«هذه الفوتوغرافات الداعرة المتهتكة تصيب احاسيس الناس بأشد ما يمكن من الهيجان والاختلال، وتحث مشتريها البؤساء على المعاصي والإجرام التي تقشعر من تصورها الجلود, وان أثرها السيء المهلك في الفتية والفتيات لما يعجز عنه البيان، فكثير من المدارس والكليات قد خربت حالتها الخلقية والصحية لتأثير هذه الصور المهيجة، ولا يمكن ان يكون للفتيات على الأخص شيء أضر وأفتك من هذا)[16].

فالغرب بتفسخه الأخلاقي هذا قد جنى على حياته الأسرية والاجتماعية بإغفاله مبادئ العفة والوفاء واستهتاره بالشرائط الزوجية الصالحة، وذهب كل من الزوجين هائما في متاهات الغواية والفحشاء، فتنطلق الزوجة خليعة متجملة بأبهى مظاهر الجمال و بواعث الفتنة والإغراء، بينما زوجها هائم في مراتع التبذل والإسفاف، وسرعان ما ينزلقا في مهاوي الرذيلة، حينما تستهوي بهما شخصية جذابة أروع جمالا واشد إغراء من شريك حياته، فينحرف عنه طالبا صيدا جديدا ومتعه أخرى، بين فتيان الهوى وفتياته السائحات، فيتزعزع بذلك كيان الأسرة، و ينفرط عقدها، وتسقط عرى الزوجية، وأصبحت تنفصم لأتفه الأسباب؛ من هنا أمرت الشريعة الإسلامية المرأة المسلمة بالتحجب ونهتها عن التبرج والاختلاط المريب حرصا على كرامتها وكرامة أسرتها، وقاية للمجتمع الإسلامي من الماسي والازراء التي حاقت بالأمم الغربية، و مسخت أخلاقها وضمائرها وأوردتها موارد الشقاء والهلاك.

عندما يقول تعالي:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59]، انما أراد من المرأة المسلمة التحصن بالحجاب واتقاء مزالق الفتن والشرور؛ حرصاً على كرامتها وصيانتها من دوافع الإساءة والتغرير، فكانت الدعوة الى السفور تهديما للأسرة المسلمة، وللأسف الشديد كانت الاستجابة من بعض العوائل المسلمة سريعة فانحرفت أسرا بكاملها وحادت عن الصواب فتفتت المجتمع المسلم وهدت أركانه، وفقد المجتمع المسلم هيبته التي عهدناها به، فاثلجنا بذلك صدور الكافرين بنصرهم علينا.

2- إهمال تربية الأبناء-:

ومن الأمور الأخرى التي تهدم الأسرة المسلمة وتقوض بنيانها هو إهمال تربية الأبناء بنينا كانوا ام بناتا، بينما ترى إن الإسلام اهتم بتربيتهم ومراقبة سلوكهم، محاولة غرس الفضائل والعادات والاتجاهات الصالحة في نفوسهم، لذا أمر الزوج باختيار الزوجة الصالحة تمهيدا لأرضية هؤلاء الأبناء إذ قال (صلى الله عليه وآله وسلم):«يا أيها الناس إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت في السوء»[17]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضا:«انكح وعليك بذات الدين تربت يداك»[18]، وهذه الأحاديث تشير إلى قانون الوراثة الذي قال به الإسلام وكيف ان الصفات الوراثية تنتقل من الأم أو من الأب أو من كليهما معا الى الأبناء، ويأتي هذا الاهتمام بالمرأة كونها العمود الفقري في المجتمع والعنصر المهم الذي يدور المجتمع مداره، فهي الركيزة الأساسية في الأسرة، واللبنة المتينة في بنائها، فان أحسن الرجل اختيارها ووضعها بشكل سليم كان البناء العام للأسرة مستقيما وقويا.

وقد شاء الله ان تكون المرأة في تركيبها الفسيولوجي مدرسة إصلاحية وتنظيمية.

أما دور الرجل فلا يقل أهمية عن دور المرأة وبالتالي فهو أساس العائلة ومعيلها وسيدها والقائم عليها والمسؤول غدا امام الله عن ضياعها.

ومن تظافر جهودهما معا ينشا الطفل، وتربيته والقيام بشؤونه يعد لكليهما واجبا وطنيا وإنسانيا وفريضة روحية مقدسة، وواجبا شرعيا لا يمكن الإفلات منه وإن كان الواجب أن يكون دور الأب أكبر، قال الإمام الصادق عليه السلام:«وتجب للولد على والده ثلاث خصال: اختياره لوالدته، وتحسين اسمه، والمبالغة في تأديبه»[19]، أما بإهمالهما معا وتركهما واجبهما فسيقعون معا بما لا تحمد عقباه بحيث أن الأبناء يتجرؤون حتى على عقوقهما، لذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):«يا علي، لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما»[20]، وعليه (يجب على الآباء والأمهات أن ينتبهوا إلى مسؤوليتهم الشرعية، ويهتموا بتنمية بذور الإيمان والأخلاق في نفوس أطفالهم، في الوقت الذي يضمنون لهم سلامة الجنس وقوة العقل وطلب العلم، عليهم ان يجعلوا منهم أفرادا مؤمنين مخلصين ومستقيمين في سلوكهم)[21].

وهناك الكثير من الظواهر التي وقع فيها شبابنا وبناتنا وذلك من خلال معايشتهم للواقع الفاسد في الأمة وخاصة من خلال ما يشاهدونه عبر وسائل الإعلام التي تنقل إليهم هذه الفواحش عبر الأقمار الصناعية او من خلال مواقع الانترنت في حبائل الشيطان ومكره فينجرفون في هذه الفواحش لتعم المجتمع وتحوله الى الدمار، ومن تلك الظواهر ظاهرة اللواط والسحاق اللتان تعدان من أفدح الفواحش التي تصيب المجتمع وتهد كيانه، فأصبحت هاتان الآفتان اليوم تنخران مجتمعاتنا الإسلامية كما نخرت المجتمعات السابقة التي حدثنا عنها القران كريم، فهؤلاء قوم لوط بالأمس قال عنهم تعالى:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (81)﴾ [الأعراف: 80-81] لذا قال رسول الله (صلى

الله عليه وآله وسلم): «ان أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط فلترتقب امتي العذاب اذا تكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء)[22].

وقد أثبت الطب الحديث اليوم ان الإمراض الخطيرة المكتشفة في هذه الأيام سببها هذه الآفات والعلاقات الجنسية الشاذة، وبالتالي الخوف من وقوع احد الزوجين بأمراض ناتجة عن ممارستهما الجنسية الشاذة وارد بشكل كبير، بل لعله متيقن في مورد اللواط؛ لذلك فان خوف الطرف الآخر من انتقال هذه الأمراض اليه، يبرر للرجل أن يطلق زوجته إن كانت سحاقية، وتستطيع الزوجة ان كان زوجها لوطيا ان تطلب منه الطلاق.

ليس هذا وحده ما وقعت فيه الأسرة المسلمة بل هناك موبقات أخرى مثل القمار وشرب الخمور او المخدرات او الزنا وغيرها من الفواحش التي نهى الله عز وجل عنها والتي تعد آفات تدمر الحياة الزوجية، بل تدمر الأسرة، وهذا من ما نشره الغرب الكافر في مجتمعاتنا الإسلامية، وما إباحة حياة المثليين بصورة علنية الا احد تلك المشاريع التدميرية لأسرنا المسلمة .

وهكذا تبين لنا دور الاباء والأمهات الخطير والمهمة الصعبة الموكلة إليهم والملقاة على عاتقهم؛ وذلك لأن الإسلام الحقيقي المحمدي الأصيل إنما جاء ليصنع امة مفعمة بروح الأمل، ومتصفة بالخلق الكريم، وهذا الدين له نظام تربوي تهذيبي يصنع إنسانا معتدلا متكاملا ببعديه المادي والروحي او الطبيعي والميتافيزيقي، ويزيح عنه كل أغطية الرين ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14] وحجب المادة والضلال والجهل.

3- عدم استقرار الأسرة واشغالها بالمشاكل التي قد تؤدي إلى الطلاق-:

سعى الإسلام ومنذ نزوله في جزيرة العرب الى استقرار الأسرة وقد حرص على ذلك حرصا شديدا، وقد عمل بجدية ونشاط كبيرين من اجل إبعادها عن جميع الأسباب التي توجد القلق والاضطراب والعوامل التي تؤدي الى الشذوذ والانحراف.

والأسرة التي تكون مفعمة بجو من الحب والحنان والدفء والانسجام تكون أسرة ناجحة خالية من الأمراض النفسية والاضطرابات؛ كون الاضطراب يعد من اهم الأسباب التي تؤدي الى انحراف الاحداث، وآلامهم النفسية وحتى الجسدية منها – كما اثبت ذلك الطب الحديث – واضطراباتهم العصبية؛ لذا نراه ولهذه الأسباب سعى الى صيانة الأسرة من التراجع القهقري في الحياة وسقوطها في مهاوي الشذوذ، وشباك الانحراف، من هنا حدد مسئوليات الاباء والامهات والأبناء في الأسرة والمجتمع لتسير الحياه الأسرية والاجتماعية سيرا متوازنا ومستقرا، بعيدا عن جميع عوامل القلق والاضطراب والتهاوي، وتحديد مسؤوليات كل واحد منهما على حدة.

فإذا كان الاباء والامهات من الملتزمين بالتعاليم الإسلامية صاروا قادرين على تربية أبنائهم تربية صحيحة لائقة، وأن يبذروا فيهم بذور الإيمان والاطمئنان إلى رحمة الله الواسعة.

وإذا – لا سمح الله – تعرضت الأسرة للتصدع فانه وضع الف حل وحل حتى لا يكون الطفل هو الضحية، فمن ذلك قوله تعالى:﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[النساء: 34] وقد بينت هذه الآية على أساس التدرج في الحكم الذي له الأثر الواضح في الواقع العملي لعلاج المشكلات الزوجية و ذلك-:

1- ان في التدرج مراعاة تفاوت النفوس،اذ لا يصح التعامل مع الجميع بإجراء واحد وبعضهم لا يجدي معه الوعظ والتذكير، بل قد يؤثر معه الخطاب بلغه الترغيب والترهيب بأمر الله تعالى او أمر رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)،لذا لا يسوغ له عدم الوعظ أخذا بالقاعدة القرآنية ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 164].

2- التدرج يعني عدم الاستسلام واليأس أمام المشكلات لأن الاستسلام يعني الانهيار وهو في الغالب يفضي الى انهيار عقدة النكاح وتدمير الحياة الزوجية.

3- ان بعض الرجال يميل الى الوعظ وان لم يكن ثمة نشوز ولكنه يوعظ لكل شاردة وواردة.

ولكن هذه المشاكل اذا ما وصلت الى طريق مسدود فان الإسلام يلجأ الى الحل الأسوأ وهو الطلاق الذي قال عنه الحبيب المصطفى:«ابغض الحلال الى الله الطلاق»[23] والطلاق (نزولا عند رغبات الرجل أو المرأة ونزواتهما يعتبر فعلا منافيا لتعاليم الحق تعالى والمبادئ الإنسانية وتلاعبا بأحكام الشرع وتجاوزا على شخصية أحد الطرفين)[24]، ويحدث هذا عندما يؤدي الى استحالة حياة الزوجة معه، او يظهر من المرأة ما يجعل من استمرار بقاء الزوج معها امرا صعبا ومتعذرا، ويصعب إزالة أسباب ذلك وتتوفر الأجواء لوقوع الطلاق حينها يصبح الطلاق مشروعا لا مانع دونه.

وفي زماننا هذا كثر الطلاق وتهدمت الأسر المسلمة خصوصا بعد الانفتاح على الغرب وفي ظل التطورات والتسارعات المجتمعية والاقتصادية والتقنية...الخ وليس عند أي مجتمع اليوم ما يقدمه لإصلاح نظام الأسرة الذي تسارعت وتيرة تفككه إلا المجتمع الإسلامي لو كانوا يعلمون؛ لان غيرنا ليحسدنا على بقية من تماسك الأسرة بفضل ما رسخ لدى أولي الألباب من استجابة لأوامر الشرع في قضايا الأسرة، ولولا وجود أولئك ووقوفهم في وجه الإعصار الجارف الذي هب على نظام الأسرة في المجتمعات، لما كان بيننا وبين غيرنا فرق.
وبما ان الله قد من علينا بنظام اسري مبني على القيم والأخلاق، فنحن مسؤولون عن حمايته وترسيخ جذوره ورعاية اغصانه، ونقدم ثماره الى عشاق الاستقرار الاجتماعي في العالم كله.

وفي أيام زيارة الأربعين دخلت الى العراق امرأة أمريكية كانت من هواة التصوير وقد جاءت لتغطي بعض من مشاهد زيارة الأربعين المليونية وقد أضفناها عندنا عدة أيام، كانت تراقبنا عندما نجتمع على السفرة في بعض أوقات الطعام وكانت تقول لنا: نحن في أمريكا محرومون من هذه الأجواء العائلية، فنحن لا نمتلك أسرة، نحن نعيش حالة من الضياع، نحن لا نحس بإنسانيتنا انتم ايها المسلمون قد انعم الله عليكم بنعمة الأسرة وهذ الجو العائلي العظيم الذي نفتقده نحن، ثم تواصل الكلام فتقول:(لا تضيعوا عوائلكم كما ضيعنا نحن عوائلنا، لا تقلدونا

فنحن نحسدكم على نعمة الإسلام أولا ثم نعمة وجود الأب وألام والأبناء يعيشون في بيت واحد يحس أحدهم بآلام وأفراح الأخر، تقول: انا امي انفصلت عن ابي واختي تعيش الآن مع رجل يعدها بالزواج كل مرة لكنه لا يفي لها بالوعود وقد أنجبت منه طفلا لا يعرف من أبوه، أما هي فتقول: انا أعيش وحدي ولي علاقات مع أشخاص عديدين لكن كل مرة تنتهي العلاقة بلا شيء).

نستطيع من هذه الحكاية ان نعرف انما أنعم الله علينا به من وجود الأسرة لهو نعمة ما بعدها نعمة فيا أيها الآباء تنازلوا ولو قليلا عن كبريائكم لأجل ابنائكم لأجل ان لا يقف ابنائكم أمام جبار السماوات والارض ويقول: (ربي خذ بحقي من هذا الظالم، فينظر الخلائق من الظالم؟، فيقول ابي اوامي، فيقال له لماذا ابوك او امك الظالم؟ فيقول لأنه لم يحسن تربيتي) كما روي ذلك في الأثر[25].

4- عزوف الشباب عن الزواج:

للأسف الشديد هذه الظاهرة في تزايد مستمر في مجتمعاتنا الإسلامية، وهذا العزوف يتفاوت من مجتمع إلى آخر، فنجدها قليلة في الأسر الريفية، لكنها مستفحلة في الأسر المدنية، ولعل ذلك يعود الى:

1- ان الشابة أو الشاب الريفي اسلم فطرة من الشاب المدني.

2- إن الأسرة الريفية ابعد عن الاختلاط بين الجنسين من الأسرة في المجتمع المدني.

3- مصاريف الزواج في الريف أقل تكلفة منها في المدينة وهذا لا يعني انه لا يوجد عزوف لدى الشباب الريفي خصوصا بعد اكتساح وسائل التواصل الاجتماعي حتى في المجتمع الريفي، لكن نسبته اقل عما عليه في المدينة، كذلك نجد هذه الظاهرة في المجتمعات الميسورة مرتفعة قياسا مع المجتمعات الفقيرة او المتوسطة الحال، وهذا ايضا يعود لأسباب أهمها :

1- ان الأسرة كلما كانت غنية كلما زادت طلبات العروسة وأهلها وبالغوا في الطلبات.
2- ان الترف قد ينسي الشاب والشابة وأسرتيهما مسيس الحاجة الى الزواج، فتغلب النظرة المادية على النظرة الروحية.
3- كلما كانت الأسرة ميسورة الحال كلما ابتعد الشاب متوسط الحال او فقيره عن الجرأة في طلب الاقتران بهذه الأسر الغنية.

كذلك هذه الظاهرة قد استفحلت في الأسر المتعلمة والتي يكون تعليمها عال جدا مقابل الأسر التي لم يصل ابناؤها الى مستويات عالية من التعليم وذلك:

1- ان أكثر الشابات المتعلمات تعليما عاليا مرتبطات بعمل بينما نجد أن نسبة كبيرة من الشباب لا يحبون الاقتران بالمرأة العاملة.

2- إذا ما فكرت الفتاة بإكمال دراستها وحصلت على شهادات عليا يحاول أهلها البحث عن شخص يتناسب مستواه العلمي مع مستواها وهذا محال، فتبقى الفتاه تنتظر الفرصة المؤاتية لعلها تحصل على الشخص المناسب.

3- ان أكثر العوائل الذين يدرس أبناؤهم دراسات عليا لا يرغبون في تزويجهم حتى لا يكونوا عبئا عليهم.
4- عدم توفر المساعدات للطالبات والطلبة الذين يرغبون في الزواج.

هذه الأسباب كلها حالت دون زواج مجموعة كبيرة من الشباب والشابات فكثرت المشاكل العائلية بل استفحلت، فكان من نتائجها انحراف عدد كبير منهم عن جادة الصواب وبالتالي انحراف المجتمع، فصارت الرذيلة منهجا، والفضيلة عبئا، فتحول الشباب من متزوجين الى ممارسين للعادة السرية التي احلوها لأنفسهم تحت ذرائع عدة، منها الفاقة وعدم القدرة على تحمل المسؤولية.

5- انتشار العلاقات الجنسية المحرمة في المجتمع-:

أباحت الشريعة الإسلامية العلاقات الجنسية وفق ضوابط وآداب حكت عنها النصوص القرآنية والسنة النبوية، والأهداف النبيلة التي تحققها هذه العلاقات بالطرف المقابل رفضت كل نوع من هذه العلاقات خارج إطار الأسرة، بل حذرت منها وشنعت عليها، من ذلك قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32]، وكذلك ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين احدث مقارنة بين تلك العلاقتين فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «وفي بضع احدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه فيها وزر وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[26]، وانتشار هكذا علاقات يعود إلى أسباب كثيرة -:

1- التهتك وعدم لبس الحجاب الإسلامي.
2- اختلاط الجنسين بلا ضوابط خصوصا في الجامعات ومكانات العمل.
3- انتشار ظاهرة التحرش بالنساء نتيجة جرأة الشباب واستهتارهم بالتعاليم الدينية.
4- الدعوات الصريحة والضمنية لوسائل التواصل الاجتماعي، وما إباحة اللواط والسحاق في المجتمعات الغربية إلا واحدة من تلك المارسات.
5- انتشار المسلسلات المتهتكة - خصوصا المترجمة والمدبلجة منها- وإشاعة المظاهر المثيرة للغرائز الكامنة.
6- الانفتاح الإعلامي وانتشار شبكات التواصل الاجتماعي وتخلي الدولة عن مسؤوليتها في فلترة مواقع التواصل الاجتماعي.

ولهذا كله جنى المجتمع ما يلي:-

أ- التفكك الأسري وخلخلة النسيج الأسري حتى وصل الحال الى المتزوجين والمتزوجات.

ب- انتشار الاولاد غير الشرعيين في المجتمع، وهؤلاء يفتك بهم الانحراف عندما يعرفون حقيقة أنفسهم فيحاولون الانتقام من المجتمع.

ج- انتشار الجرائم الكبرى كالسرقة والقتل والاغتصاب.

د- انتشار الأمراض الفتاكة والمعدية كالإيدز والسيلان والزهري وقد اجمع الأطباء ان انتشار هذه الإمراض بسبب العلاقات غير المشروعة وآثار كثيرة أخرى ابتعدنا عن ذكرها بعدا عن الإطالة.

والذي نريد قوله: أن الحل يكمن في إشاعة قيم الدين الواجب معرفتها واحترامها داخل الأسرة مع توفير مناخ مساعد على ذلك، وأفضل مناخ لذلك هو الشعور بمراقبة الله تعالى، وهذا بدوره ينمي الرقابة الذاتية للجنسين، فالإحساس بمراقبة الله خير باعث على البعد عن الفواحش، وكذلك عدم تهوين الفواحش والاستهانة بها لأنه يقضي على الروابط الشرعية والأخلاقية التي تقوم عليها الأسر المسلمة، وأصعب ما يقع فيه المجتمع أن يكون تهوين الفواحش سمة عامة فيه.

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الرحلة المؤلمة بين خبايا المجتمع المسلم وما أضمره له الغرب الكافر توصلنا الى النتائج التالية:-

1- اكبر مشاكلنا نحن المسلمين هو احتكاكنا الثقافي بالغرب، وان من أكثر ما يوجع قلب المسلم ان هذه الدعوات تكون ممن يحسبون عليه.

2- إتباع الأهواء الغالبة لهي من أكثر أسباب تصدع مجتمعاتنا الإسلامية.

3- ضعف الواعز الديني عند البعض لهو من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى تفكك مجتمعاتنا الإسلامية.

4- ترويج وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي لكثير من الفواحش، يعد السبب الأساس في تطبيع علاقة الأسرة المسلمة بالفواحش.

5- تقاعس الغيارى عن مقاومة معاول الهدم التي جاء بها الغرب الى مجتمعاتنا وعن توعية الأسرة بقيمة النظام الذي أقامها عليه الإسلام.

6- ان العالم اجمع يمر بأزمة أخلاقية خطيرة والعالم الإسلامي بالخصوص قد تقوض بنيانه وتهدم اركانه.

7- إن الاستعمار ترك طرقه القديمة في احتلال الشعوب، بل أخذ يغزوهم ثقافيا فكان الشرق المسلم أحد ضحاياه.

وأخر دعوانا ان الحمد لله ربي العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الهوامش:

1- الأمثل/ ناصر مكارم الشيرازي 507/2

2- قانون حظر ارتداء الحجاب، حديث الساعة في فرنسا، شبكة الانترنت العالمية الموقع >Women>news>https://www.AlJazeera.net 2019/10/15

3- ما لا تعرفه عن منع ارتداء الحجاب في تركيا.. من «غرف الإقناع»، شبكة الانترنت العالمية، الموقع،<history<ثقافة2018/12/18 https://arabicpost.net>

4- مجلة صباح الخير المصرية التابعة لمؤسسه روز اليوسف العدد 975 بتاريخ 1974/9/12

5- المصدر نفسه العدد نفسه

8- الأسرار الفاطمية/ محمد فاضل المسعودي 17

9- نحو نقد العقل الإسلامي/ محمد أركون 11

10- بحار الأنوار/ المجلسي/ 16/ 333

11- الأصول من الكافي/ الكليني/ 2/ 113

12- لسان العرب/ ابن منظور/ 1 /298

13- الحجاب/ المطهري/ 28- 29

14- الحجاب الدرع الواقي/ محمد الحسيني الشيرازي/ 6

15- الأسرة ونظامها في الإسلام/ حسين انصاريان/ 221

16- هذا هو الإسلام/ عبد الله الهاشمي/ 348

17- شجرة طوبى/ محمد مهدي الحائري/ 2/ 233

18- أخلاق أهل البيت/ محمد مهدي الصدر/ 268

19- الكافي/ الكليني/ 5/ 332

20- المصدر نفسه 5/ 332

21- تحف العقول/ الحائري/ 322

22- وسائل الشيعة/ الحر العاملي/ 5/ 115

23- الطفل بين الوراثة والتربية/محمد تقي فلسفي/ 2/ 9

23- مستدرك الوسائل/ حسين النوري الطبرسي/ 14/ 346

24- كنز العمال/ المتقي الهندي/ 9/ 662

25- الأسرة ونظامها في الإسلام/ حسين انصاريان/ 455

26- محاضرة للشيخ جعفر الابراهيمي بثت من قناه الانوار في محرم الحرام

27- صحيح مسلم/ مسلم/ 0405 باب الزكاة

قائمة المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به القرآن الكريم.

1- أخلاق أهل البيت/ محمد مهدي الصدر/ مؤسسه دار الكتاب الإسلامي/ مطبعة سرور/ إيران ط2 1423هـ - 2002م.
2- الاسرار الفاطمية/ محمد فاضل المسعودي/ مطبعة امير/ قم المقدسة ط2 1420هـ - 2000م.
3- الأسرة ونظامها في الإسلام/ حسين انصاريان/ دار الرسول الاكرم/ بيروت - لبنان ط1 1419هـ - 1998م.
4- الأصول من الكافي/ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق/ تحقيق علي أكبر غفاري/ مطبعة حيدري/ طهران/ دار الكتب الإسلامية ط7 1383هـ.
5- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ ناصر مكارم الشيرازي/ مؤسسة البعثة/ بيروت - لبنان ط1 1410هـ - 1990م.
6- بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار/ المجلسي/ محمد باقر (ت1111هـ) مؤسسه الوفاء/ بيروت - لبنان ط1 1403 - 1983م.
7- تحف العقول عن آل الرسول/البحراني: ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين(من أعلام القرن الرابع) تحقيق: علي أكبر الغفاري/ مؤسسة النشر الاسلامي لجماعة المدرسين/ قم المقدسة ط2 1404هـ.
8- الحجاب الدرع الواقي/ محمد الحسيني الشيرازي/ دار الصادق للطباعة والنشر/ كربلاء المقدسة - العراق ط5 1425هـ - 2004م.
9- الحجاب/ مرتضى مطهري/ جمعية المعارف الإسلامية الثقافة - إيران ط2 2007م - 1428هـ.
10- شجرة طوبى/ محمد مهدي الحائري (ت1369هـ)/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ط5 1385هـ.
11- صحيح مسلم/ مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)/ دار ابن حزم/ بيروت ط1 1423هـ - 2002م.
12- الطفل بين الوراثة والتربية/ محمد تقي فلسفي/تعريب فاضل الحسيني الميلاني/ دار سبط النبي للطباعة/ ايران - قم ط2 1424هـ - 2005م.
13- الفروع من الكافي/ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي/ تحقيق علي أكبر الغفاري مطبعة حيدري/ طهران ط1 1378هـ.
14- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ المتقي الهندي: علاء الدين علي/ تحقيق بكري حياتي مؤسسة الرسالة/ بيروت ط1 1409هـ - 1989م.
15- لسان العرب/ محمد بن منظور/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت ط1 1988م.
16- مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل الميرزا حسين النوري الطبرسي/ تحقيق مؤسسة آل البيت «ع» لإحياء التراث/ ط2 1408هـ - 1988م.

17- نحو نقد العقل الاسلامي/ محمد اركون/ ترجمة هاشم صالح/ دار الطليعة بيروت – لبنان ط1.
18- هذا هو الإسلام/ عبد الله الهاشمي/ هيئة محمد الأمين/ بيروت – لبنان ط1 1423هـ – 2002م.
19- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة الحر العاملي: محمد بن الحسن/ تحقيق مؤسسة آل البيت لأحياء التراث/ قم المقدسة/ ط1 1409هـ 2009.